اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله أرسله الله إلى العالم كلِّهِ بشيراً ونذيراً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آية في كتاب الله عز وجل تبعث في النفوس شعوراً غامراً من الأمن والطمأنينة والاعتزاز قوله سبحانه وتعالى (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا).

كيف يمشي طفل صغير عاجز ضعيف، يمسك بيد والده مفتخر معتز به، يشعر بالأمان لأن والده في نظره كبير قادر أن يحميه من أي سوء، ولله المثل الأعلى هذا حال العبد مع ربه.

نكرر الآية ونجمع قلوبنا على معانيها، الله ولي ونفكر بمعناها، فينجلي كل ظلام وحزن وسواد في حياتك، وتضيئ الحياة وتشرق تفاءل بولاية المولى، قال تعالى: (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) [البقرة: 257]

ما هو الشيء الذي يؤرق راحتك وتحتاجه، ما هي الظلمة التي تتمنى زوالها من حياتك ظلمة الجهل الله العليم يعلمك، ظلمة الفقر الله الغني يغنيك، ظلمة العجز الله القادر ينصرك ظلمة المرض هو الشافي يشفيك ،ظلمة الظلم الله العادل ينصفك وينصرك على من ظلمك، إمام الموحدين أبونا إبراهيم علمنا التوحيد فهل وصلت كلماته لقلوبنا، حتى نطمئن ونرتاح ولا نعلق قلوبنا بالضعفاء الفقراء العاجزين، قال تعالى: (قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: 75-82]، ثم تقرأي قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) [محمد: 11]

إذاً فأنا عبدة الله المدللة المقيمة في أكنافه، أنا عبدته المكلوءة بولايته وبرعايته لأنني ممن آمن به وممن عرفه رباً واحداً فرداً صمداً منه الابتداء وإليه الانتهاء، (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد:3].

قال السعدي رحمه الله: هُوَ {هُوَ الْأَوَّلُ} الذي ليس قبله شيء، {وَالْآخِرُ} الذي ليس بعده شيء { وَالظَّاهِرُ} الذي ليس فوقه شيء، {وَالْبَاطِنُ} الذي ليس دونه شيء {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة....

أجل، أنا لست ضائعة تائهة، لست عاجزة ولا فقيرة ولا ضعيفة في الدنيا ولا إلى الناس محتاجة ما دام الله معي، الله مولاي والظالمين لا مولى لهم، لن تتخطفني الاضطرابات النفسية، لن تتخطفني أمراض الكآبة، لن تتصيدني أفخاخ الطغاة وأوحال الشياطين لأنني مكلوءة بولاية الله.

كان المشركون يخوّفون الرسول صلى الله عليه وسلم بآلهتهم، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) [الأعراف:196]

إن نصيري، ومعيني، وظهيري عليكم هو الله رب العالمين، ومن ثم فلا سبيل لكم إلي؛ لأن الله حاميني، وناصري، وحافظي.

ويقول السعدي – رحمه الله –: إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الذي يتولاني فيجلب لي المنافع ويدفع عني المضار.

و(الولي): هو الحبيب الموالي، والنصير، والمظل بالرعاية، وكل هذا يتضمنه ولاية الله لنبيه، فهو حبيبه وناصره، ومن يعيش في ظله، ومن يفيض عليه برحمته وهدايته، ومن يكون الله تعالى وليه لا يُضار، ومن يكون وليه الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وهذا لا يعني أن لا يصيبك الأذى ولا الآلام، فأولياء الله ذاقوا أصناف البلاء، تطهير ورفعة في الدرجات، وليمكن الله لهم في الدنيا والاخرة، فلا يمكن المرء حتى يبتلى وينزع من قلبه جميع العلائق من حب الدنيا بمالها وزينتها وشهواتها، فلا يبقى فيه إلا حب الخالق فيبذل قصارى جهده لنيل رضاه، فيصبح قلبه موحد لا يفزع إلا لله، مثل أبونا أبراهيم ومحمد وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين، فينال الولاية الخاصة التي تنفعه وترفعه.

ما دمنا قد شَرُفْنَا بالإيمان به، وشَرُفْنَا بمعرفة أننا عبيده بنو عبيده المملوكون له وأعلمنا بأننا في ولايته وحمايته، كيف نشقى بعد ذلك، إلا لأننا لا ننظر الى العطايا فقط نجلس نعد البلايا، ولو كنا منصفين لشهدنا أن العطاء لا يقارن بالبلاء فالله قال عنه مس لا يكاد يذكر.

ومما زادني فخرا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي**** وأّن سيرت أحمد لي نبيا.

عجباً لمن عرف الله، الخالق المالك الرازق المدبر، وعرف كيف أنه مكلوء بولاية الله له وحمايته ثم يصر على أن يهبط من عرش ولاية الله إلى ولاية عباد الله الفقراء العاجزين الفقراء، يتلمس عطف هذا والرزق من هذا، ويعتمد على قوة هذا وهم أنفسهم فقراء يشتركون معه في هذه الحاجات.

لا تعلقي قلبك بأحدٍ سواه، فليس أحد يستحق محبتكَ وتعظيمك إلا مالك الملكِ، (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَتُخْرِجُ الْحَي مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيِّتَ مِنَ الْحَي وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [سورة البقرة:26-27]، أقطعي العلائق عن الخلائق، وتعلقي بالخالق كوني وليه له بحبه وتعظيمه والانقياد لأوامره، وإقامة شرعه، يكن وليا لك، فيكفيك ويعليك ويعطيك ويغنيك عمن سواه.

من هم أَوْلِيَاءَ اللَّهِ: أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى، الذين يراقبون الله تعالى في جميع شؤونهم، فيلتزمون أوامره، ويجتنبون نواهيه، صابرين على الضراء، شاكرين في السراء، مستغفرين آوابين توابين، قال الله تعالى: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس:62-64]

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما أخبرنا ربنا، فكل من كان تقيا كان لله وليا: أنه (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلون من أهوال القيامة، (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما وراءهم في الدنيا. ابن كثير

تنتهي آلام أولياء الله مع خروج أرواحهم، ويبدأ النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، وأما أولياء الشيطان لا تنتهي آلامهم في الدنيا ضيق صدورهم والشدة في نزع أرواحهم، وضيق قبورهم، ولايزالوا في تعذيب وألم حتى يشاء الله للموحدين الدخول للجنة والكافرين والمنافقين الخلود في النار هذا ما وعد الله أوليائه :(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ)[فصلت:30-32]

وقال عبد الله بن مسعود، وابن عباس: أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله.

ولاية الله على نوعين:

عامة: فالله ولي المؤمن والكافر والبر والفاجر، وولايته العامة تقتضي العناية والتدبير وتصريف الأمور والمقادير، وتأتي بمعنى التَّدبيرُ والمُلك.

وخاصة: لا تكون إلا للمؤمنين، وتقتضي قرب الله من المؤمنين وحفظه لهم ومحبته ونصرته ورعايته لعباده المؤمنين، وتأتي بمعنى القرب، والمحبة، والرعاية، والحفظ.

الولاية الخاصة متفاوتة بحسب إيمان العبد وتقواه، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله ومحبته وقربه، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله، وعليه يمكن تقسيم درجات الولاية إلى ثلاث درجات: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) [فاطر: 32]

❶ درجة الظالم لنفسه: وهو المؤمن العاصي، فهذا له من الولاية بقدر إيمانه وأعماله الصالحة.

❷ المقتصد: وهو المؤمن الذي يحافظ على أوامر الله، ويجتنب معاصيه، ولكنه لا يجتهد في أداء النوافل: وهذا أعلى درجة في الولاية من سابقه.

❸ السابق بالخيرات: وهو الذي يأتي بالنوافل مع الفرائض، ويبلغ بالعبادات القلبية لله عز وجل مبالغ عالية، فهذا في درجات الولاية العالية.

الولاية ليست حكرا على أحد، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة، بل هي رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته.

المحبة والتعظيم لله عزوجل في قلب الظالم لنفسه ضعيفة، لذلك الواقع العملي له ضعيف فتراه يترك أوامر لله ويتعدى على حدود الله، المقتصد المحبة والتعظيم أفضل من الظالم لنفسه فهو يجتهد أن يلزم بأوامر الله ويجتنب نواهيه وهذا الغالب عليه لكنه لا يصل الى درجة السابق بالخيرات، السابق بالخيرات المحبة والتعظيم ملئت قلبه فترجمت الى واقع عملي فاق الجميع يفعل الأوامر ويترك النواهي والمكروهات عنده مثل المحرمات والمستحبات مثل الواجبات وترك كثير من المباحات حتى لا تشغله عن محبة الله فهذا قطع العلائق عن الخلائق فأصبحت حياته لله (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فهل جزاء الاحسان الا الإحسان، فالله عزوجل يحث لهم من الكرامات ما لا تكون لغيرهم وهذه الولاية التامة المطلقة .

وبناء على هذا لا نقول هذا ولي لله، ولو شاهدنا أو سمعنا له خوارق للعادة إلا أذا أقام حدود الله، فأولياء الشيطان يكون لهم من ولاية الشيطان ما قد يشتبه على الناس، والأمر بين واضح جلي لا يمكن أن تكون ولاية الله التامة التي تترجم لكرامات إلا إذا شهد لهذا الشخص بالعلم والعمل والوقوف على حدود الله.

مثال: امرأة عرافة تدعي علم الغيب تقرأ الوجوه والفنجان والكف...، وتنبأ الناس بأسرارهم في البيوت، أو تنبأهم بوقوع أحداث مستقبلية، نقول إن صدقت فهذا من الشيطان لا من الرحمن، لأن الله أختص لنفسه بعلم الغيب، وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الدِّينِ عَلَى أَنَّ الرَّجُل لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ، لَمْ تَثْبُتْ لَهُ وِلاَيَةٌ، بَل وَلاَ إسْلاَمٌ حَتَّى يُنْظَرَ وُقُوفُهُ عِنْدَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك ما يحصل من الشياطين ما حصل لعبد القادر الجيلاني كما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية: قال عبد القادر: رأيت عرشًا بين السماء والأرض، فناداني صوت قال: يا عبد القادر أنا ربك قد أسقطت عنك الفرائض، وأبحت لك المحارم كلها، أسقطت عنك جميع الواجبات، قال: فقلت له: اخسأ يا عدو الله، فتمزق ذلك العرش، وذلك النور، وقال: نجوت مني بحلمك وعلمك يا عبد القادر وقد فتنت بهذه الفعلة سبعين صديقا أو كما قال، قيل له: كيف عرفت يا عبد القادر أنه شيطان، قال: عرفت بقوله: أسقطت عنك الواجبات، وأبحت لك المحرمات، وعرفت أن الواجبات لا تسقط عن أحد إلا من فقد عقله، وقال: إنه لم يستطع أن يقول: أنا الله، بل قال: أنا ربك.

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ ضَابِطَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ مَا يَتَلَبَّسُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ وَحَالٍ، فَإِنْ كَانَ وَفْقَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ فِي الأُمُورِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ وَفِي الأعمال الظَّاهِرَةِ الَّتِي عَلَى الْجَوَارِحِ، كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وولايته لهم أن أخرجهم من ضلالات الجهل، والشرك، والبدع والخرافات، وَإِنْ كَانَ مُعْرِضًا فِي ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُخَالِفًا لَهُمَا إِلَى غَيْرِهِ تولاهم الشيطان وأزاغ قلوبهم عن الهدى ، وأبعدهم عن منهج الله.

والله عصم أوليائه من كيد الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]، لما علم الله من قلوبهم حسن القصد وحب الخير ، والتطلع إليه وفقهم فأخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم إلى الصراط المستقيم، وأما المعرضين المستكبرين أولياء الشيطان، فكما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [سورة البقرة : 257] الشيطان وليهم وقد استحوذ عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّـهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: 19] ، أخرجهم من النور والعلم والهدى ، أخرجهم من الإسلام ومن تعاليم الإيمان إلى ظلمات الجهل والضلال ، والشرك والبدع ، جاء لقلوب فارغة ، لا علم ولا هدى ولا إخلاص ولا بصيرة ، بل تطور الأمور إلى أن جعلوا الباطل حقا والحق باطلا ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّـهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر : 8].

الإيمان بولاية الله الخاصة يثمر في قلب المؤمن الطمأنينة والثقة في نصرته سبحانه وكفايته وصدق التوكل عليه سبحانه، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) فلا يزال إيمانه بالولاية الخاصة ترتقي به وترفعه وتنفعه، حتى يصبح من خاصة الخاصة، السابقون السابقون مع الذين آنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وكلما صدق العبد في طلب الولاية تولاه الولي المولى ملأ حياته نورا، في سمعه وفي بصره وفي قوله وفي جميع أمره، تأملوا (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).

قال ابن القيم: قد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مغلقا دونه. الفوائد.

من أشرف الأحاديث التي وردت في فضائل الأولياء، الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ عن ربه جل وعلا:(مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) صحيح البخاري

فمن عادى أولياء الله حارب الله، مهما كاد الناس لأولياء الله ينصرهم الولي المولى سبحانه:(وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة:56]

كن وليا لله يوفقك في سمعك فلا يسمعك الا يرضيه، ويصبح بصرك فلا تبصر إلا ما يرضيه ويهدي حركات جسمك كلها في راضاه ثم يجيب دعاءك ولو أقسمت عليه لأبرك.

متى امتلأ القلبُ بعظمةِ الله تعالى، محا ذلك مِنَ القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهواه، ولا إرادة إلاَّ لما يريدهُ منه مولاه، فحينئذٍ لا ينطِقُ العبدُ إلاّ بذكره، ولا يتحرَّك إلا بأمره، فإنْ نطقَ نطق بالله، وإنْ سمِعَ سمع به، وإنْ نظرَ نظر به، وإنْ بطشَ بطش به، فهذا هو المرادُ بقوله سبحانه في الحديث القدسي:(كنت سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها). جامع العلوم والحكم

المؤمن الذي يتولى الله عز وجل يكون من حزب الله الفائزين ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّـهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : 56] ، فالمؤمن متول لله، وولايته لربه طاعته في أمره واجتنابه لنهيه وقبول شرعه والرضا به رباً ومشرعاً ، سامعاً لله مطيعاً ، منفذا للأوامر مجتنبا للنواهي ، متأدبا بآداب القرآن متخلقا بأخلاقه لأنها المنهج الذي يسير عليه ، ومن تولى الله ظهرت ولاية الله عليه في أقواله وأعماله ، فأولياء الله حقا هم الموصوفون بهذه الصفات ، فليست ولاية الله دعوى تقال، ولكن كما قال الحسن: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني لكن ما وقر في القلوب وصدقه العمل)، فالمدعون لولاية الله ومحبته لابد أن يبرهنوا تلك الدعوة بالعمل الصالح الموافق لشرع الله، يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ ﴾ [آل عمران: 31]

أولياء الرحمن قلوبهم تغلي بالبركما قال مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ: (إِنَّ الأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ).

قال ابن حجر: قُرْبُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ يَقَعُ أَوَّلًا بِإِيمَانِهِ، ثُمَّ بِإِحْسَانِهِ، وَقُرْبُ الرَّبِّ مِنْ عَبْدِهِ مَا يَخُصُّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ عِرْفَانِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ رِضْوَانه، وَفِيمَا بَيْن ذَلِكَ مِنْ وُجُوه لُطْفه وَامْتِنَانه.

فيملئ قلب وليه بحقيقة ولايته، فلا يخاف سواه ولا يرجوا غيره ولا يتوكل الا عليه.....

❍كقول هود عليه السلام، لما قال له قومه (فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [هود: 55-56]

وكقول إبراهيم عليه السلام: (قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: 75-82]

📂تأملوا ولاية الله لرسولنا محمد ﷺ: المشركون يحاصرون بيت رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه نائم بداخله، وبينما هم على هذه الحالة، مر عليهم رجل من المشركين لم يكن معهم؛ فقال لهم قولًا خطيرًا، لقد قال لهم: ماذا تنتظرون هنا؟ قالوا: محمدًا. قال: خيَّبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، فلما سمع القوم ذلك انزعجوا، وزاد من انزعاجهم التراب الذي وجدوه على رءوسهم، في إشارة واضحة إلى أنه مر عليهم فلم يشاهدوه، وفي هذا معجزة ظاهرة، ولكنهم كانوا قد عميت أبصارهم وبصائرهم.

📝تجمّع مشركو قريش حول غار فيه رجلان: محمد ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه والإغراءات المالية تدفعهم لقتلهم، معها الأحقاد الدفينة، والرغبة في حوزة وسام الظفر بأهم شخصية في تلك المدّة، فيتسلل الخوف إلى فؤاد أبي بكر، فينظر إليه صاحبه العظيم ويقول: ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟ قال تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة:40]

📝تأملوا في ولاية الله ليوسف، لقد تمثلت ولاية الله ليوسف مذ أن كان صغيراً، نصره ورعاه، رمي في البئر فأحوج الله القافلة إلى الماء حتى يقفوا عند هذا البئر ويأخذوا الدلو وإذا به يوسف، يحوج العزيز - لم يأته أولاد – حتى يأتي يوسف في بيته ويتربى عنده، ويرى الملك الرؤيا ويحوج الله الملك إلى تأويل الرؤيا ويأتي بيوسف، ولذا حمد يوسف ربه، فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [يوسف:101]

📝نتأمل ولاية الله لموسى طفلا صغيرا في تابوت يقذفه اليم حتى يوصله إلى بيت عدوه، فيربيه على سريره ويأكل من طعامه ويحرصه جنوده، حتى يبلغ أشده ويبلغ رسالة لربه، ويقف بين المخاطر وتلاطم الامواج والجنود في ظهره، ويتولاه الله، من عادى لي ولي أذنته بالحرب، فتغيرت خصائص الاشياء فيصبح الماء يابسا لينجو أولياء الله، وبكن فيكون تعود اليابسة بحرا لتغرق أعداء الله، هذا هو الله ولي المؤمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

📝ولاية الله لمريم عليها السلام أكرمها الله سبحانه بالرزق الطيب بأنواع الطعام والشراب، ووصوله إلى محرابها، وكذا ما أيدها الله به من الحمل من غير زوج، وظهور المساعدات الربانية عند الولادة، والرطب الجني من النخلة اليابسة، والنهر الصافي، وكذا نطق عيسى في المهد أمام قومها.

📝أصحاب الكهف أكرمهم الله بكرامات كثيرة: من نومهم المدة الطويلة ثلاثمائة وتسع سنين، وحفظ أجسامهم من التغيير، وصرف الشمس عنهم، وقيامهم من نومهم بعد تلك المدة.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلّهنّ أمانُ

ولاية الله لنبيه يوشع بن نون عليه السلام رواها البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضْعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها ولما يبنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا آخرُ اشترى غنما أو خَلِفَات وهو ينتظر وِلادَها، فغزا، فَدَنَا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا؛ فَحُبِسَتْ حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تَطْعَمْها، فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فَلَزِقَتْ يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فَلَزِقَتْ يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضَعْفَنا وعَجْزَنا فَأَحَلَّها لنا "

لأبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى، وهو من سادة التابعين أيضاً، قالت له زوجته مرة: ليس عندنا دقيق، فقال لها: هل عندكِ شيء؟ قالت: ليس عندي إلا درهم بعتُ به غَزْلاً، قال: أعطِنيه وهاتي الجِراب، فدخل السوق، فأتاه سائل، وألحّ عليه في السؤال، فأعطاه الدرهم، وعاد إلى بيته وقد ملأ الجرابَ نشارة خشب مع تراب، وأتى وقلبه مرعوبٌ من زوجته، وضع الجراب في البيت ومضى، فلما ذهب فتحتْه، فإذا به دقيقٌ أبيض، فعجنت الدقيق وخبزت، وجاء أبو مسلم الخولاني إلى بيته ليلاً، فقدّمتْ له الخبز، فقال لها: من أين لنا هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي اشتريتَه اليوم، فأكل أبو مسلم الخولاني من الخبز الذي أصله نشارة خشب وتراب، وبكى. هذه أيضاً نقلها الإمام الذهبي في \"سير أعلام النبلاء\".

وهكذا يبدو لنا كرامة الأولياء التي يؤيّدُ الله تعالى بها أولياءه، إنهم عرفوا الله فاستقاموا على منهجه

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصلت:30]

استقاموا على الطاعة فلم يعوجوا عنها، لم ينتظموا في الصلاة او في الصيام او في الصدقات قليلا ثم انقطعوا، بل هم ثابتين على الطاعة فاستحقوا ان يدخلوا في ولاية المولى عز وجل.

صفات أولياء الله الصالحين:

❶ تشرفهم بانتسابهم في العبادة إلى الله عز وجل، حيث وصفهم الله سبحانه، بأنّهم عباده، عندما قال: (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ ....) [الفرقان:63].

❷ تميزهم بالتواضع في المشي من غير تكبر ولا خيلاء، لقوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا....) [الفرقان:63].

❁عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ: أَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)

❸عدم مقابلتهم الإساءة بالإساءة، لقوله تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا....)[الفرقان:63].

❹ حرصهم على إحياء ليلهم بطاعة ربهم بالقيام والذكر والدعاء، (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا....) [الفرقان:63].

وخوفهم الدائم من عذاب الله -عز وجل (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [الفرقان:65-66]

❻تضحيتهم في سبيل الله بالمال والنفس، (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) [الفرقان:67].

❼إخلاصهم العبودية لله -عز وجل-،(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) [الفرقان:68].

❽يبتعدون عن الفواحش كالزنا ودواعيه، وما يؤدي إليه (وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) [الفرقان:68].

❾تجنبهم مجالس اللغو، وابتعادهم عن الكذب، وشهادة الزور، (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) [الفرقان:72]

❿التزامهم بحدود الله ويأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر ويخدمون دين الله،(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)[الفرقان73]

❶❶حرصهم على تنشئة أولادهم وأسرهم التنشئة الإسلامية الصحيحة، (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان:74]

جزائهم ومكافئتهم لصبرهم على أوامر الله (أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) [الفرقان: 76-75]

❶❷ ومن صفاتهم أنهم يحبون في الله ويبغضون في الله، ويوالون في الله ويعادون في الله، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك.

قال تعالى:(لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ....) [المجادلة :22]

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [المائدة:51]

❶❸يقفون عند حدود الله -عز وجل- وتتمعر وجوههم عند الوقوع في أي ذنب.

❶❹صدق ظاهرهم وباطنهم، وعدم الفصام بين الظاهر والباطن.

❶❺صدق إيمانهم بالله -عز وجل- وتوكلهم عليه.

❶❻تميّزهم بكريم الصفات، ونبل الأخلاق، كالجود، والإيثار، والصدق، والشجاعة في قول الحق، وغير ذلك.

❶❼إشفاقهم على الضعفاء والمساكين، وسعيهم في خدمتهم.

❶❽قيامهم بواجب الدعوة إلى الله -عز وجل وبذلهم الوقت والمال والجهد من أجل ذلك.

❶❾الحرص الدائم على الاستقامة في سلوكهم، وندمهم الشديد عند أي مخالفة.

على قدر ما تتصف بهذه الصفات التي يحبها الله، يكون وزنك عند الله، وكلما ثقل وزنك زادت ولايتك وحفظك ورعايتك، قال تعالى: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) [القارعة:6-7]

لا تغتر بعطايا الله للناس، وتعتقد أن كل العطايا ولاية لهم وتمكين، فإن كان على طاعة وانقياد فهي ولاية، وإن كان على معصية وفسق فهو استدراج، (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [القصص: 76]

كانت نهاية العطايا والتمكين لقارون الخسف والعذاب، (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ) [القصص:81]

ولاية الله لا تقاس بالظاهر، كم من ولي خفي تقي، يعلمه الله وأهل السماء ويجهله أهل الأرض، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» [أخرجه البخاري ومسلم]

أولياء الله المتقين تحاط قلوبهم بسياج الثقة بالله، والتوكل على الله، والصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره، فيثبتوا إلى أن يلقوا الله.

أولياء الله المتقين هم العارفين بالله، المواظبين على طاعته المجتنبين للمعصية، المعرضين عن الانهماك في اللذات والشهوات التي تشغل عن قربه.

كلما زاد العبد إيمان ويقينا بأهمية ولاية الله له، دعى الله وتذلل لينال الحظ الأوفر منها، لذلك كان من دعاء سيد أولياء الرحمن الأولين والأخرين وتولني فيمن توليت، لا يذل من واليت كما ورد في دعاء القنوت، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، ..... وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ)

فإذا تولى الله الإنسان فإنه لا يذل أبدا، بل يرفعه الله في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وجندك الغالبين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واغفر لنا وارحمنا يا رب العالمين